مناقشات

التقرير الأخير للحزب الشيوعي اللبناني

الفلسطينية ، اما عن اي حل سياسي يتحدث التقرير فلا نعلم ، انما نحب التذكير ببند من بنود مشروع روجرز الذي يقول : « يتعهد كل من الفريقين بعمل كل ما في طاقته لضمان عدم نشوء الاعمال العدوانية والحربية في اراضيه وعدم ارتكابها داخل اراضيه سواء من قبل الاجهزة الحكومية او الموظفين او الاشخاص العاديين او المنظمات » – الاتفاق مع مصر – و « يتعهد الطرفان أن يقوما بكل ما في وسعهما لتامين عدم القيام باي اعمال عدوانية او كراهية سواء من اجهزة الدولة او الموظفين او الاشخاص العاديين فيها او المنظمات تنطلق او تباشر من اراضي كل منهما » – الاتفاق مع الاردن – .

الازمة الداخلية في حركة المقاومة

ويتحدث التقرير في تقديره لوضع المقاومة الذاتي عن ان المقاومة كانت تعاني من :

« أزمة سياسية ، في أساسها الانقسام الذي لم تزله تشكيل اللجنة المركزية ، على النحو المعروف ، وكذلك فقدان الستراتيجية الواضحة والتكتيك المرن ، في مواجهة الوضع الراهن المعقد ، وفي مواجهة تطورات المستقبل ، سواء على صعيد الاردن ، أو على الصعيد العربي العام ، أو على صعيد القضية الفلسطينية بالاساس . وهذه الازمة بشقيها السياسي والعسكري كانت تتعمق بدل أن تخف ، مع اتساع الاخطار . وكان يزيد في تعميقها فقدان السياسة التي تؤمن علاقة صحيحة مع الجماهير ومع قواها التقدمية الحقيقية . وكانت من جراء ذلك تنشأ هوة ، وينشأ نوع من التباعد الخطير بين حركة المقاومة وبين الجماهير العربية غير الفلسطينية »

الا سلمنا بصحة هذا المقطع ، وهو في الحقيقة صحيح ، نستنتج ان اي وحدة لا تامن لها استراتيجية واضحة وتكتيك مرن وتفتقد الى سياسة تؤمن علاقة صحيحة مع الجماهير ومع قواها التقدمية الحقيقية ، ستؤدي حتما الى نشوء هوة وتباعد خطر مع الجماهير .. واذا صح هذا القانون على حركة المقاومة المتقاربة الفصائل من حيث الهدف والمادة وأسلوب العمل فكيف يدعو الحزب الشيوعي الى وحدة على نطاق أوسع تشمل المقاومة وحركة التحرر كلها بما فيها النظم العربية « التقدمية » بل وحتى الدول او البلدان العربية ، وضمن هذه الوحدة الشاملة تناقضات بعضها رئيسي كالتناقض بين فصائل حركة التحرر وبين الدول او البلدان الرجعية ، وكالتناقض بين القبول بمشروع روجرز ورفضه ، ولها رؤى مختلفة حول قضايا رئيسية على كل صعيد « صعيد الاردن او الصعيد العربي العام ، أو على صعيد القضية الفلسطينية بالاساس » . هل يستطيع الحزب الشيوعي القول بامكانية فرض استراتيجية واضحة على الانظمة والدول والبلدان المذكورة ؟ اذا كان بالامكان ايجاد ذلك – ونحن نعلم من الذي يفرض مثل ذلك في اطراف هذه المعادلة فهل ستكون هنالك وحدة افضل من اللجنة المركزية لحركة المقاومة واقدر على ردم الهوة القائمة بين اطراف هذه المعادلة وبين الجماهير .

ثم يصل التقرير الى الحديث عن « مجموعة المواقف والاخطاء التي وقعت فيها حركة المقاومة الفلسطينية ونتائجها السلبية » فيقدم تحليلا جيدا لنقاط اساسية عديدة ، على حركة المقاومة بجميع فصائلها أن تدرسها بعناية وتستوعب ابعادها ، ونخطط على اساس تلافي النواقص والعيوب والاخطاء الواردة فيها ، الا ان هنالك ما يجب الوقوف عنده وهو جزء قليل من هذا المقطع يتالف من تناقض واحد حين يسجل التحليل تخلف « فتح » عن طرح الشعارات المتعلقة بالسلطة الوطنية ، في الوقت الذي سجل فيه اعتراضا على « هدف اسقاط الملكية الذي طرحته بعض المنظمات » واذا كان يبدو ان التحليل يحاول استعمال الالفاظ التي تبدو متفارقة ، من حيث تحويل شعار « كل السلطة للمقاومة » او « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » الى جمله متعارضا مع شعار « السلطة الوطنية » فاننا نود ان يقدم الحزب تحليلا يوضح كيف يمكن اقامة سلطة وطنية دون هدم السلطة الرجعية ؟

العمليات الخارجية والطائرات

وبالاضافة الى هذا التناقض يوجد ضمن البند المذكور ، تعرض غير صحيح لموضوع العمليات الخارجية بشكل عام ، ولموضوع الطائرات بشكل خاص ، فهو يقفز فوق المعطيات الموضوعية والظروف المحيطة بقضية فلسطين بشكل خاص وبطبيعة الجهتين المتصارعتين فيها ، واذا كنا قد كتبنا في هذا المجال مراراً فاننا مضطرون هنا تكرارا على تاكيد بعض النقاط :

١ – بعد تحول الراسمالية الى امبريالية ، صارت عدوا عالميا لجميع الشعوب واينما وجدت وبالتالي فالصراع معها غير محدود ولا يمكن أن يكون محدوداً برقعة جغرافية معينة من الارض . وكما انها تختار المكان الذي توجه فيه ضربات الى حركات الشعوب التحررية ، يحق لهذه الحركات ان تختار المكان الذي توجه فيه ضرباتها لذلك العدو .

٢ – لا يوجد ما يسمى بالراي العام العالمي بهذه الصفة العمومية ، فلا يمكن تصنيف الحزب الشيوعي الفرنسي مثلا ومنظمة الكلوكلوكس الفاشية في جهة واحدة مسماة « الرأي العام العالمي » ، ولا يمكن تصنيف « الاومانيتيه » مع « النيويورك تايمز » في قائمة واحدة للتعبير عن الرأي العام العالمي . انما الذي يوجد هو آراء عامة عالمية بعضها متناقض مع بعض ، وان قوى ثورية عالمية وأوساطا ثورية متزايدة الاتساع في العالم قد أخذت في تاييد ضربات الجبهة الشعبية للمصالح الصهيونية والامبريالية خارج أرض فلسطين ، كما أن هنالك اوساطا لن تؤيد اي شعب من الشعوب الا يوم يستكين للاستعمار، ويهمنا في هذا المجال أن نذكر بالترحيب « العالمي » من مثل تلك الاوساط بخطوة الدول العربية التي قبلت الاستسلام امام مشاريع الامبريالية الامريكية والتي وقفت في الوقت نفسه موقف الهجوم على عمليات الجبهة ، كله عمل ثوري في العالم ، تلك القوى التي تتضمن قائمة طويلة فيها بن غوريون من جهة ونيكسون من جهة اخرى .

٣ – أن الثورة هي حرب عادلة بين الظالم والمظلوم ، عادلة من طرف المظلوم وظالمة من طرف الظالم ، وضرب مواصلات العدو في اي حرب ، هو امر مشروع ، وبالنسبة لاسرائيل الموقع المتقدم في معسكر عدونا ، فهي معزولة جغرافيا عن العالم الخارجي الا بواسطة الجو والبحر ، وان ضربات توجه الى مواصلاتها الجوية ، ستكون مؤلمة لها الما شديدا .. ومضرة اضرارا بالغا بالاقتصادها الذي يعتمد على السياحة بقطاع اساسي من قطاعاته ، ذلك الاقتصاد الذي يشكل خلفية لقوتها العسكرية .

٤ – ان شعب فلسطين قد يكون ان لم نقل بالفعل هو الشعب الوحيد الذي اقتلعه الاحتلال من ارضه ورماه في الخارج ، ذلك الاحتلال الذي لم يكن له منطلقا استعماريا واحدا ، انما هو التمام من الخارج من جميع انحاء العالم ، ما زالت تغذيه حركة صهيونية عالمية موجودة في ارجاء العالم وممثله بمؤسسات بشرية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، وان هذه المعادلة الفريدة من نوعها تلعب دورا هاما في تحديد نوعية اشكال النضال المشروعة في ثورة شعب فلسطين ..

٥ – ان هذه العمليات ليست فردية ، بل هي جماعية ومخططة ومرتبطة باستراتيجية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما ان الدور الفردي البطولي فيه ، قد بدات الاستعدادات تجري لتخفيف حجمه رغم ان اي عمل ثوري فيه قدر معين من البطولات ، وعلى هذا الاساس جرى كتمان اسماء الابطال الذين قاموا بالعمليات الناجحه الاخرة ، الا الذين وقعوا اسرى في ايدي العدو فكشف هو اسماءهم .

٦ – أما أن هذه العمليات تثير أوهاما لدى الجماهير ، فهذا منطق من لا يستطيع فهم معنى التعبئة النفسية للجماهير ، فالاوهام هي التعلق ببطولات خرافية « كالقاهر والظافر واكبر قوة ضاربة في الشرق الاوسط » اما خطف هذه الطائراة او تلك فليس موضوع خرافة اطلاقا ، بل هو يحدث وسيحدث دائما، واذا كانت جماهرنا تؤيده فهذا أمر طبيعي لان جماهرنا تحس واقع معركتها احساسا مباشرا ، وتعي عدوها بوضوح .

٧ – وبالنسبة لتوقيت العمليات الاخرة ، ذلك التوقيت الذي يعترض عليه الحزب الشيوعي اللبناني ، فان الحزب يغفل الجو العام الاعلامي والسياسي الذي خلقته المؤامرة الاستعمارية الكبيرة ، والمناخ الذي احاط بالمقاومة وبالجماهير من قبل جميع اجهزة الاعلام وغير الاعلام التابعة للقوى العربية المستسلمة بعد مشروع روجرز ، ومدى مراهنة اسرائيل والرجعية الاردنية والقوى الاستعمارية على ذلك المناخ ، من أجل تطويق المقاومة وضربها واقامة الدويلة الفلسطينية في الضفة الغربية ، والتعبئة النفسية التي ساهمت العمليات الاخرة في تطويرها ، ادت الى قلب ذلك المناخ راسا على عقب ، وساهمت مساهمة لا يستهان بها في صمود الجماهير الفلسطينية والاردنية امام المجزرة التي لا ينكر الحزب الشيوعي انه كان مخططا لها أن تنجز مهمتها في سحق المقاومة خلال يوم أو يومين .

التخويف بالتدخل الامريكي

بالاضافة الى جميع ما تقدم يبقى موضوع التدخل الامركي الذي يرد في أكثر من مكان من التقرير ، تماما مثلما كان قد ورد عن قوى سياسية عربية أخرى خلال وبعيد الاحداث ، اي كفزاعة تقلف جميع المواقف المترددة وغير الواثقة بقوة الجماهير ومدى استعدادها لتطوير قدراتها وامكانياتها خلال المواجهة ، وتحويل المقاومة الى ثورة شعبية حقيقية ، هذا الموضوع يبقى بحاجة الى مناقشة عبر مستويين المستوى الذي ورد فيه في تقرير الحزب الشيوعي اللبناني ، ومستوى النظر اليه نظرة تحليلية عامة .

يقول التقرير :

« لقد كان الهم الاساسي عند الرئيس جمال عبد الناصر ، من جهة ايقاف المجزرة ، التي تنفذ ضد المقاومة ، ومن جهة ثانية منع التدخل الامريكي الداهم . وفي الواقع فقد امكن مع توقيع اتفاقية القاهرة تحقيق هدفين مباشرين :

– وقف المجزرة التي كانت تسفك فيها دماء المقاومة والجماهير الفلسطينية والاردنية على السواء .

– منع التدخل العسكري الامريكي في الاردن .

ويضيف ايضا :

« بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد كان همه الاساسي – كما اعلن ذلك الرفيق بريجنيف في خطابه بكازاخستان – ان يمنع التدخل الامريكي بمختلف الوسائل وان ينقذ المقاومة من الضربة التي كانت توجه لها . وقد جاء في خطاب الرفيق بريجنيف بان الاتحاد السوفياتي قد بذل جهودا كبيرة لمنع تصفية حركة المقاومة ... وبالفعل فقد كان موقف الاتحاد السوفياتي في الاردن من العناصر الاساسية التي ساهمت بايقاف المجزرة ضد المقاومة ، ومنعت بشكل رئيسي الملك حسين من استدعاء القوات الامريكية ، ومنعت ايضا مبادرة امريكية للتدخل تحت اي مبرر برغم خطورة الوضع وتعقيداته وصعوبة الخروج منه آنذاك » .

ان رؤية شيوعية لموضوع من هذا النوع ، وفي هذا المستوى من الخطورة ، قادر على التعلق بمواقف الاحزاب الشيوعية العربية ، والجمهورية العربية المتحدة وغيرها من الانظمة العربية ، وحتى الاتحاد السوفياتي – كما جاء في التقرير – لا بد وأن تكون مبنية على اساس من التحليل الطبقي المادي لموازين القوى ، سيما وأن المعركة كانت على درجة من الحدة والخطورة لا تسمح بالوقوف خارجها . لكن التقرير وبعد اسطر قليلة فقط من هذا الكلام الذي يعتبر التدخل خطرا داهما ، ينتقل الى تحليل ميزان القوى ، او ما يشبه التحليل فيقول :

« لقد استطاعت حركة المقاومة ان تتصدى ببسالة لمؤامرة السلطة الرجعية العميلة في الاردن وقاتل أفرادها ببطولة لم يضعف منها ، لا الثغرات التي كانت موجودة ، ولا عدم تكافؤ القوى بين حركة المقاومة وبين قوات السلطة العميلة » .

كما ان التقرير لدى تحليله لمجموعة المواقف والاخطاء ، كان قد اورد ما يلي :

« ب – عدم تقدير صحيح عند جميع اطراف المقاومة لقوة الجيش الاردني والامكانيات المتوفرة عند السلطة الرجعية عسكريا وحتى سياسيا ، بما في ذلك قدرتها على تعبئة بعض اقسام من الجماهير الى جانبها وتحييد أقسام اخرى » .

أمام هذا الطرح المتمسك بورود التدخل الخارجي ، والمتمسك بتقدير تفوق قوات السلطة ، الا يقف المرء ويتساءل عن صحة ورود التدخل الخارجي اذا كانت السلطة الرجعية ووفقا لتحليلات التقرير ذاته ، في غير حاجة الى ذلك التدخل ؟

هذا على مستوى ورود الموضوع في تقرير الحزب الشيوعي اللبناني ، اما على صعيد التحليل العام فلا بد من التساؤل عن حسابات الارباح والخسائر في ورود مثل هذا الموضوع ..

ان الامبريالية في تصرفاتها ومخططاتها كلها انما تستهدف تثبيت الواقع العربي كما هو بحيث يستمر النهب الاحتكاري المتنامي في المنطقة (ضاعفت امريكا بعد حرب حزيران استثماراتها في السعودية والخليج ثلاث مرات ، وزادت حجم تبادلها التجاري مع معظم الدول العربية بما فيها بعض الدول « التقدمية » ، واستطاعت الحصول على امتيازات بترولية في الجمهورية العربية المتحدة ذاتها وبشروط ممتازة بالنسبة لها) . وان تدخلها المباشر سينشر مقاومة كبيرة من قبل الجماهير العربية التي لن يعود بمقدور اية نظم ان تستمر في حجزها وشدها الى مقاعد المتفرجين عندما ترى جنود اليانكي في ديارها عاملة على سحق هذا الشعب وقواه الطليعية .. كما ان الرأي العام العالمي ، بل والامريكي ذاته ، لن يقبل الوقوف مكتوف الايدي امام تدخل امريكي جديد بعد فيتنام وكمبوديا ، اي ان التدخل سيساهم في تطوير صورة نضالنا الى الامام ، في اعين الرأي العام العالمي ، وسيساهم بالتالي في تصعيد النضال العالمي ضد الامبريالية . هذا بالاضافة الى ان الولايات المتحدة لن تكون قادرة على ضبط الانفجار الشعبي العربي ضمن حدود الساحة العربية ، ولن تكون قادرة على تجنب وصول شروره الى مصالح اساسية بالنسبة لها ، كما ان التدخل سيعطي الشعب فرصة تدمير ما للولايات المتحدة من قوى سياسية في الارض العربية ، بعضها ما يزال في قلب الاجهزة الحاكمة وعلى مختلف المستويات . الشيء الذي يدفع الامور كلها في اتجاه مناقض لما كان قد تصوره تحليل الحزب الشيوعي من انه هدف امريكي يكمن وراء تقديم مشروع روجرز « كانت تستهدف اعطاء القوة لعملائها وللقوى الرجعية العربية في الحكم وخارجه وبعث الفكرة حول ضرورة فتح الحوار مع اميركا » .

هذا على الصعيد الستراتيجي ، اما على الصعيد التكتيكي ، فان مبادرة روجرز ووقف اطلاق النار وغيرهما من الضوابط التي تقصد الى تجميد نضالنا الشعبي ، فانها كانت ستتساقط كلها وبشكل اوتوماتيكي ..

اما شعبنا فلم يكن ليخسر شيئا ، ان الجماهير التي تواجه الرصاص والسلاح الامريكي والاسرائيلي لن يختلف معها الامر بشيء في حال تغير هوية حامل ذلك السلاح ، ان لم يتغير بشكل ايجابي لصالحها ، اذ يستثير المزيد من الغضب الشعبي والمزيد من القدرة القتالية الثورة في اوسع القواعد الجماهيرية ..

ومثل هذا التحليل يبدو اكثر صحة لدى مقارنته مع الصورة التي يوردها التقرير للوضع ، اذ يقر كما قلنا بتفوق السلطة الرجعية ، فلماذا تخاطر الولايات المتحدة بالتدخل ، ولماذا يخاف شعبنا من ذلك التدخل .. هل يخاف ان تسقط القوات الاعلامية التي تركزت في عملية تصوير معركة بين الجماهير واعتى القوى رجعية وعمالة على انها معركة بين اخوة واشقاء ؟

وانصافا ، رغم كل ما في هذا التقرير من نقاط وقضايا نختلف عليها مع الرفاق الشيوعيين فانه لا يسعنا الا ان نبدي تقديرنا لهذه الخطوة الرائدة ، خطوة الوقوف الدراسي النقدي امام الاحداث البالغة الخطورة والتعقيد التي يواجهها شعبنا ، والمقرونة بالجراة على نشر مضمون تلك الوقفة بشكل كامل امام الجماهير ، الامر الذي يعتبر الان مطلوبا بالحاح من كافة قوانا الوطنية التقدمية بما فيها بل وفي مقدمتها جميع فصائل المقاومة ، ان بشكل مشترك او من كل على حدة .

كما اننا ننظر بالتقدير ايضا الى قضايا كثيرة واردة في التحليل المذكور بشكل صحيح على جميع قوانا الوطنية التقدمية ان تاخذها بعين الاعتبار والدراسة ..

واذا كان القيام بخطى من هذا النوع امرا ضروريا وملحا ، فعلى نفس المستوى من الضرورة والاهمية ان تجري مناقشة ذلك بروح رفاقية على اوسع نطاق ، المنظور الوحيد الذي دفعنا كي نناقش الحزب الشيوعي اللبناني هذه المناقشة التفصيلية .

لماذا ردة الفعل الغربية هكذا ازاء خطف الطائرات ؟

في العدد الماضي نشرت «الهدف» مقاطع من تعليقات بدات تظهر في صحف غربيه ، ذات ولاءات يسارية او شبه ليبرالية ، تنظر الى احداث خطف الطائرات نظرة جديده ، بعيدا عن التشنج الاهوج الذى اصاب صحافة الغرب عندما كانت الاحداث ذاتها محتدمه. والواقع ان التعليقات الشجاعه التى بدات تظهر هنا وهناك ، باتت الان اكثر من ان نعرض جميعها ، وسنواصل في هذا العدد عرض نموذجين آخرين من الكتابات التى ظهرت تعليقا على حوادث خطف الطائرات ...

« الهدف »

فيما يلي ترجمة لمقطع ورد في مقابلة اجرتها « ليباريتد غارديان » الاميركية اليسارية (عدد ٢٧ ايلول ١٩٧٠) مع فريق من الشبان الاميركيين زاروا في الصيف الماضي ، بناء على دعوة من اتحاد طلاب فلسطين ، لبنان وسوريا والاردن للتعرف على النشاط النضالي الفلسطيني:

● سؤال : لقد هيمنت احداث خطف الطائرات ، مؤخرا ، على الصحافة ، وفي الغالب كانت ردة فعل « صحافة الخنازير » (بقصد الراسماليين) سلبية ، اذ انها اخذت تستخدم عبارات من طراز « الارهابيون العرب » وما الى ذلك ، ان حركتنا تعتقد بقوة ان هذه العمليات كانت جيدة ، ومع ذلك ثمة تشوش فيما تقصده هذه العمليات حقا ، هل بوسعكم إعطاءنا فكرة عن هذه المسالة ، خصوصا وانكم كنتم هناك عندما وقعت هذه الاحداث ؟

●● جواب : ثمة اسباب عديدة لذلك ، وليست هذه هي المرة الاولى التي تنفذ فيها الجبهة الشعبية عملية اختطاف طائرات . هنالك بعض الخلافات بين التنظيمات الفلسطينية حول الفائدة الستراتيجية لمثل هذه العمليات ، خصوصا بين « فتح » و « الجبهة الشعبية » ، ونحن نعتقد ان مواقف الطرفين معروفة . ان فتح تعتقد ان هذه العمليات ليست مصوبة مباشرة وبوضوح ضد العدو الاولي ، اسرائيل والدولة الصهيونية ، وتؤدي بالتالي الى التشتيت وتسبب مشاكل اكبر مما تستحق . اما الجبهة الشعبية ترى ان مثل هذه العمليات انما هي اسلوب واحد من عدة اساليب لتنفيذ استراتيجية مضادة ليس فقط لاسرائيل ، ولكن ايضا للامبريالية المسؤوله أصلا عن وجود واستمرار وجود اسرائيل .

لقد كنا في عمان حين وقعت حوادث الاختطاف هذه ، وكنا نعيش في جو قمعي مواصل الشدة وقصف مستمر من قبل السلطات الاردنية ، وكان التعرض للفدائيين واختطافهم واستفرادهم عملا متواصلا يهدف الى تشكيل مقدمة لعملية سحق جماعية ، لقد جاءت عملية اختطاف اربع او خمس طائرات دفعة واحدة لتشكل دفعة ايجابية داخل عمان ، وحتى اولئك الذين كانوا عادة ضد هذه العمليات من الناحية الستراتيجية سارعوا الى الموافقة عليها هذه المرة .

انا ، حتى نفهم استراتيجية الجبهة الشعبية بالنسبة لعمل من هذا النوع ، علينا ان نعود الى موضوع خطة السلام (روجرز) . ان عملية الاختطاف هذه كانت الاولى منذ ان قدمت مشاريع السلام في اواخر الربيع الماضي . اننا نعتقد انه من الواضح انه بالرغم من ان وسائل الاعلام ركزت طوال الوقت على موضوع اطلاق سراح الرهائن كمبادلة مع اسرى الجبهة ، فان ذلك كان هدفا ثانويا لعملية الاختطاف .

ان الهدف الاولي كان تصعيد التناقضات في الموقف ، وخلق التوتر والتصادم داخل المعسكر الامبريالي نفسه : بين حكوماته المختلفة ، بين اسرائيل والولايات المتحدة ، بين اسرائيل وبين حكومات اوروبية مختلفة ، بين الاردن واسرائيل ، بين الاردن والولايات المتحدة ... وذلك ، على سبيل المثال ، بان يصبح من الواضح ان الاردن لا يمكن ان يكون طرفا معتمدا عليه في اي مشروع للسلام لانه لا يستطيع السيطرة على ارضه نفسها .

وبكلمات اخرى : ان الفلسطينيين ، الذين راوا في مشاريع السلام تهديدا لصميم وجودهم، يهددون بانهم انما على استعداد ليقوموا باي عمل يرونه ضروريا لمنع تنفيذ هذه المشاريع . ان خطف الطائرات جاء كجزء من هذه الستراتيجية، وعلى ما يبدو حتى الان ، فان ذلك يسير سيرا حسنا .

ان المثير للانتباه هو هذا البروز لغضب اخلاقي مرس على قواعد جديدة ، ويستند هذا الغضب على القول بان عدة مئات من الناس اضطروا للقضاء يومين داخل الطائرات في الصحراء – على حين ان مليونين ونصف المليون من البشر قد اقاموا ٢٢ سنة ، بعد طردهم من اراضيهم ، في الصحراء : يعيشون في اكواخ الصفيح يرجفون بردا في الشتاء ويحترقون قيظا في الصيف ..

● سؤال : لقد استخدمت الصحافة الامبركية حوادث خطف الطائرات بطريقة ارادت من خلالها ان تصور حركة التحرر الوطني الفلسطينية وكأنها حركة عصابات وقطاع طرق وارهابيين .. ما رأيكم في هذا ؟

●● جواب : وماذا كنتم تتوقعون ؟ ان شعورنا بان اي حدث جدير باثارة حفيظة « النيويورك تايمز » الى حد يدفعها لوصف الناس بانهم برابرة ، هو عمل لا بد ان يكون جيدا .

انه من الصحيح ، ربما على الاقل للمدى القصير ، ان الدعاية الصهيونية ستستخدم ذلك ، هذه الدعاية الصهيونية التي ترفض التعامل مع الفلسطينيين كحركة وطنية مشروعة، وتصر على وصم الفلسطينيين بانهم ارهابيون وقطاع طرق . ان افضل كلمة يستطيع الصهاينة ايجادها في قاموسهم هي كلمة « الارهابيون العرب » ، ولكن ذلك كله يخلق موقفا يدفع الناس لان يسالوا انفسهم عن طبيعة هذه الحركة ، ولان يعترفوا فيما بعد ان المسالة اكبر بكثير من ان تكون مجرد خطف طائرات ، واخيرا لا بد ان يصلوا الى تفهم لما تمثله هذه الحركة عمليا .

رأي من بريطانيا

ومن صديق بريطاني ، اسمه « أ . ستمان » (وهو جندي بريطاني متقاعد) الى صديق له في لبنان رسالة نقتطف منها ما يلي :

« ... واعتقد انه من واجبي ، في هذه الظروف الراهنة الصعبة التي تمر بكم ، ان ابلغك باننا نفكر بكم على الدوام ، كذلك اريد ان اطلعك ، ولو بسرعة ، على ردود الفعل في الاوساط الشعبية وغيرها من الاوساط ، ازاء عمليات الفدائيين الفلسطينيين .

ان عملية اختطاف الطائرات والملابسات التي رافقت هذا العمل الجريء ، قد احدثت اكبر ضجة ، فريدة ومثيرة ، في الصحافة والتلفزيون، اكبر واضخم ضجة ، على ما اذكر مدى حياتي كلها .

وفعلا : ان هذه الاحداث دفعت كل فرد ليرى حقيقة الاغتصاب الاسرائيلي لفلسطين ، وباعتقادي آن هذا هو اعظم عمل ايجابي من شانه ان يرجح الكفة ، لمصلحة القضية الفلسطينية اذا ما قورن بالاستياء والخوف الناجمين عن احتجاز الرهائن .

اما السياسيون البورجوازيون فقد ذعروا من جراء هذا العمل ، واظهروا مشاعرهم الخفية ، وكشفوا عن مدى دعمهم للصهيونيه ، مثلا : رتشارد كروسمان ، وزير الضمان الاجتماعي في حكومة ولسن السابقه ، قال في مقابلة تلفزيونية: « يجب ان نسترجع الرهائن ، ثم نعطي الاسرائيليين كل ما يحتاجونه من دبابات ليقضوا بواسطتها على العصابات الفلسطينية قضاء مبرما » وكذلك قال جيمس كلاغام ، وهو وزير الداخلية السابق : « يجب الا نتعامل معهم او نرضخ لمطالبهم » .

ولكن رغم عداوة الزعماء السياسيين والصحافة ورغم الامكانات الكبيرة المعطاة للصهاينة للتعبير عن ارائهم الاثمة ، فقد استطاع الفلسطينيون استخدام العرض التلفزيوني في بريطانيا لنشر تصريحات واضحة وممتازة ، مما كشف حقيقة النزاع التي كانت تحجبها دعاوات الحرب الباردة.

شرح لحادث الطائرات

وقد اجاب الصديق اللبناني صديقه البريطاني برسالة فيما يلي بعض المقتطفات منها:

« لقد سررت حقا باستلام كتابك الذي تخبرني به عن اقوى ضجة فريدة ومثيرة في الصحافة والتلفزيون ابان اختطاف الطائرات الاربع ، بما فيها (الجمبوجت) التابعة « للعم سام » ، ان وصفك لردود الفعل البريطاني ممتاز حقا ، ولعلك توافق على نشره ليطلع عليه الراي العام العربي ، واني اقترح مجلة « الهدف » الاسبوعية وهي الناطقة باسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » .

وعلى ذكر اختطاف الطائرات واحراقها يكتب مؤرخكم العالمي « ارنولد توينبي » في مقال بعنوان « شمشون يهز الاعمدة » ما يلي :

« ان هنالك دافع ثار يستحث الفلسطينيين ضد الاسرائيليين ، الا ان لهم حقا في الحقد على العالم باسره ، ذلك ان نصف قرن من المظالم التي وقعت عليهم ، ومن اللامبالاة ، قد اكسبهم شعورا يشبه شعور المليونين في الولايات المتحدة الاميركية الذين تعرضوا للعسف والاجحاف والاضطهاد خلال قرن كامل من الزمن . والوضع النفسي الراهن للفلسطينيين يحفزهم الى التضحية بانفسهم وهدم اعمدة الهيكل فوق رؤوسهم ورؤوس اعدائهم ، واذا ما تحطمت من جراء ذلك ، جماجم الاخرين عرضا ، فما هم الفلسطينيين العرب ؟ وهل ترانا قدمنا لهم ما يشفع لنا عندهم ؟ »

يلوح لي ان النظر الى العمل الفدائي من هذه الزاوية قد يفسر بانه عمل يائس متمثل بشمشون الاعمى على ما ورد في التوراة ، ان الفدائيين العرب يهدفون اليوم الى العودة الى بلادهم وانقاذها من الصهاينة المعتدين والملطخة ايديهم بالدماء ، انهم يهدفون كذلك الى جعل فلسطين بلدا ديمقراطيا حيث يتكمن العرب واليهود (لا الصهاينة) من العيش معا في ظل السلام والعدل .

فالفدائيون حينما احرقوا الطائرات لم يفعلوا ذلك عن عمى او ياس ، بل احرقوها عن قصد وسابق تصميم كي يرى لهيبها العميان في الارض قاطبة ، وكي يسمع صوت انفجارها اولئك الذين اصموا آذانهم عن صراخ مليون ونصف مليون من البشر مشتتين في الصحاري في حالة فقر مدقع ، وبؤس قاتل ، وحرمان صارخ ، ضمن ظروف بالغة القسوة مدى اثنين وعشرين عاما .

وما اسرع ما وصمت به الصحافة الامبريالية خاطفي الطائرات « بقراصنة الجو » مطالبة بصورة هستيرية الافراج عن الرهائن . ولكن قليلا ما فكرت تلك الصحافة بقرصنة من نوع آخر عنيت « قرصنة الارض » التي ما برحت اسرائيل تمارسها منذ سنة ١٩٤٨ . وكان من نتائجها الاستيلاء على بلاد برمتها ، على بيوتها وحقولها واملاك اهلها وطرد اصحابها الشرعين بقوة السلاح الى البراري المقفرة ليموتوا جوعا وعطشا .